الواقع الإيزيدي في شمال شرق سوريا (التشتت الراهن والمستقبل)

الكاتب: زانيار جندو

www.asocenter.org info@asocenter.org (+964) 751-4413372

مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية

Analysis and Strategic Study Organization (ASO)

هي مؤسسة بحثية تغطي مجالا إقليميا واسع النطاق، تهتم بمتابعة التطورات على ساحة جيواستراتيجية واسعة تشمل بلاد الشام بصفة خاصة والشرق الاوسط بصفة عامة، مع الاهتمام بالشأن السوري والعراقي، وللمركز مقر في سوريا والعراق.

يعمل المركز على تقديم مساهمات فكرية ومعرفية جادة تعني المنطقة وتؤثر في مستقبلها في مجال الاستشارات والدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والأمنية واستطلاعات الرأي والتدريب الإداري.

انطلاقا من مبدأ الجودة والتميز في خدمة المجتمع الذي شكل الدافع الرئيس للعملية التنموية، جاء إنشاء مركز آسو للاستشارات والدراسات الاستراتيجية لتكون مركزا للتفكير وصنع السياسات العامة محليا واقليميا واعداد وتأهيل وتنمية كوادر وقيادات على درجة عالية من المهارة والعلم الحديث في المجالات المختلفة.

حقوق النشر محفوظة © 2020

أتباع الديانة الإيزيدية في شمال شرق سوريا: التاريـخ والجغرافيا

الإيزيديون أتباع الديانة الإيزيدية، التي أثيرتْ حولها تسـاؤلات ولغطٌ كبيرٌ وتشـويهٌ للحقائق، لم تتعرّض له أيّ من الأقليات في سوريا، وسلطتْ عليها الأضواء بشكلٍ لم يسبق له مثيل منذ ألف سنة، وأصبحتْ محلّ اهتمام العالم، من مؤسساتٍ دولية وإعلامٍ عالمي، وذلك نتيجة لما تعرّضوا له خلال حملة الإبادة الجماعية، التي شنّها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في ٢٠١٤/٨/٣ في مناطق شنكال وبعشيقة وبحزاني، في إقليم كردستان العراق، وراح ضحيّتها الآلاف من السكان.

لن نتحدّث في أسـباب ونتائج هذه الحملة، ولن نخوض في تاريخ هذه الديانة المُوغلة في القِدَم، التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ٥٠٠٠ سـنة، ومرّتْ بمراحل كثيرة، كما ويرجع أصـل أحد أسـمائهم التي عرفوا بها؛ أي (إيزيدي -الإيزيدية) إلى الكتابات المسـمارية المُكتشـفة بالعهد السّـومري، والتي كُتبتْ على شـكل مقاطع على لوح (ئي زي دي) وتعني "الروح الخيّرة والذين يمشون على الطريق الصحيح"؛ بحسب باحث اللغات الإيزيدي لافاري نابو ١٩٩٢.

ينتشـر الإيزيديون في دول عدّة من العالم، كجورجيا وأرمينيا وروسـيا وألمانيا، وقديماً في الهند وأفغانسـتان، بالإضـافة إلى مناطقهم الأساسية غربي إيران وجنوبي تركيا وشمالي العراق، وشمال شرق سوريا. في سوريا يتوزعون في مناطق أساسية - منطقة الجزيرة (الحسـكة -القامشـلي -رأس العين -عامودا -درباسـية – تربسـبية/ القحطانية). بالإضـافة إلى سـكناهم في المدن يعيشـون كذلك في أكثر من ٥٠ قرية، أمّا المزارات الدينية كانت ثلاثة، منها اثنان في عامودا (قرية قزالجوخ، الواقعة جنوبي عامودا: مزار الشـيخ بازيد، مزار الشـيخ قبلان أو كبلو) والمزار الثالث في منطقة تربسـبية، قرية أوتلجة، والمسـمّى (دياري فلكي). طبعاً، هذه المزارات قديماً كانت موجودة، ولم تُرمَّم، وإنما ظلّتْ آثارها فقط.

منطقة حلب -عفرين -جبل سمعان – كرداخ، وأيضاً يتوزعون في أكثر من ٢٢ قرية، وكان فيها بعض من المزارات المقدسة، منها: (جل خانة – ملكادي -شيخ بركات -بارساخاتون -شيخ شرف -منان-بير جعفر - حه جه ركي - شيخ حميد).

قديماً، في كوباني، تمركزوا في مناطق (تل حاصـل، تل عران) وأيضـاً في مناطق (حماة، حمص، الشـام، دير الزور، المالكية). وهذا يأخذنا إلى تاريخ وجود الإيزيديين في سـوريا. فالكثير من الباحثين والكتّاب غير الإيزيديين، وجهات سـياسـية، يُرجعون تاريخ وجودهم إلى ما بعد عام ١٩٢٠م، وبأنهم ليسـوا من السـكان الأصـليين، ويسـتندون في أبحاثهم إلى أنّ هجرتهم من تركيا كانت نتيجة الاضطرابات والثورات التي قامت في تركيا، كما أن الإيزيديين لا ينكرون تلك الهجرة للبعض منهم؛ فنتيجة الحروب وحملات الإبادة التي تعرّض لها الإيزيديون على مرّ التاريخ، والتي يصـل عددها خلال ١٤٠٠ سـنة الأخيرة، فقط، إلى أكثر من ٧٣ حملة، أغلبها في العهد العثماني. الإيزيديون كانوا مجبرين على ترك موطنهم الأسـاسي والعودة إليه بعد سـنوات، نتيجة حملات الإبادة والتّكفير؛ بسـبب معتقداتهم وديانتهم، وبسـبب مناطقهم الاسـتراتيجية، وصراع الإمارات والممالك والتحالفات العسكرية، ونتيجة كل ذلك لا يمكن القول إن الإيزيديين ليسوا من السكان الأصليين .

أولاً: مدونات التاريخ، في أغلبها، كتبها الأقوياء المنتصرون في الحرب .

ثانياً: بسـبب تسـخير أقلام الكتّاب والباحثين، ذوي التوجّه القومي والعنصري، في خدمة تشـويه تاريخ الإيزيديين وديانتهم، وتحريف الحقائق التاريخية.

ثالثاً: عدم وجود باحثين متخصصين في الشأن الإيزيدي، وآثاريّين، يمكنهم كشف الحقائق.

رابعاً: عدم كشـف الوثائق الأجنبية وترجمتها؛ كون أغلب مناطق الإيزيديين في سـوريا مرّ بها أوروبيون رحّالة، ومحتلّون وسياسيون، وتعرّضت أغلب كتب الإيزيديين للحرق والسرقة خلال التاريخ.

خامسـاً: تعدد التسـميات التي عُرف بها الإيزيديون، منها: (إيزيدي -اليزيدية – اليزدانية – يازاتا - خالتيون - العدويين - بيرتاويون - داسنيون - شمسانيون - عبّاد الشمس - عبّاد النار - ميثرائيون - سومريون – شرقيون - زردشتيون - مجوس - جلبي- عبّاد إبليس) وما إلى غير ذلك من تسميات أطلقها آخرون عليهم.

لكن بالنظر إلى التاريخ الشفهي الذي يعتمد عليه الإيزيديون، فإنهم من السكان الأصليين في سوريا؛ فالطقوس والأعياد والأزياء والآلات الموسيقية، فضلاً عن مناطق تواجدهم، تتشابه تماماً مع نظائرها لدى من سكنوا هذه المناطق منذ آلاف السنين، وبنوا حضارات. كما أن أغلب العشائر الكردية وبعض العشائر العربية حالياً، إنْ بحثنا في تاريخهم فهم إيزيديون، لكنهم نتيجة الحملات أجبروا على تغيير دينهم ومعتقداتهم، أيضاً إذا بحثنا في قرى الريف الحمصي- والحموي سنرى بأن مجموعة منهم لا ينكرون تاريخهم الإيزيدي، كما أنّ في ريف اللاذقية أيضاً سنرى البعض من أتباع مكزون السنجاري ممن لا يخفون أنهم قد جاؤوا هناك لمساعدة العلويين وبقوا هناك وتغيرت ديانتهم. كما أن عالم الآثار البريطاني، ديفيد أوتس، قال عام ١٩٨٤ متحدثاً عن مدينة الحسكة: "تحت هذه المدينة كان الالتقاء؛ نهر الخابور مع هورماس أو جقجق حالياً، وكان في عهد الملك الكردي الكاشي /كيش ميس ليم/. وإنها تحت الثكنة العسكرية الفرنسية، وأما هيكل الإله شمس يقع تحت بناء كنيسة الكلدان الحالية وقد عاينتُها... كان البيرتاويون يهرولون إلى معبد الشمس في الصباح الباكر مرتدين ملابسهم البيضاء". ومن المعروف أن الإيزيديين يتميزون بملابسهم البيضاء، وأن قبلتهم في العبادة هي الشمس. أيضاً، يقول كتاب أن أصل تسمية مدينة الحسكة يرجع إلى تسمية سكانها الأصليين من عشيرة الهسكا الإيزيدية، التي ما زالت موجودة وانتقلت إلى مدينة شنكال. وبالرجوع إلى التاريخ نرى أن مناطق الحسكة هي امتداد لشنكال.

كما ويذكر شرف خان البدليسي في كتابه شرفنامه: "وقد عطف ملوك آل أيوب العظام على مند هذا؛ فعيّنوه في منصب أمير الأمراء على جميع أكراد محروسي الشام وحلب، وأطلقوا يده في حكم هؤلاء. وحدث في بادئ الأمر أنْ نازعه على هذا المقام السّامي شيوخ الأكراد من اليزيدية المنتشرون بين حماة ومرعش". ومعروف أن الشيخ (مند) هو إيزيدي، وما زال حتى اليوم هناك طبقة من الإيزيديين يسمّون شيخ مندي؛ حيث كان يحكم إمارة كلس وعزاز، والتي ضمّتْ ناحية القصير، حلب، أنطاكية، عزاز، وكل مناطق عفرين. وسهل العمق وحارم، وهذا يدل أن الإيزيديين كان ينتشرون في تلك المناطق قبل حكم (مند) في حماة ومرعش، ومن سلالة حكام كلس بقيت العائلة الجانبولاتية في لبنان. كما أن رجل الدين الإيزيدي، المعروف والزاهد المتعبّد الذي كانت له كرامات وله مكانة كبيرة لدى الإيزيديين، قد ولد في بيت فار بلبنان قبل أكثر من ٥٠٠ سنة.

الباحث محمد عبدو علي، في كتابه المعنون "الإيزيدية الإيزيديون في شمال وغرب سوريا"، كتب يقول: "يوجد على قوس كنيسة قديمة في قرية قيمار، يعود بناؤها إلى ٥٧٣ م نقشٌ لطاووسين متقابلين، بينهما صليب متساوي الأذرع ضمن دائرتين". بالنظر إلى هذه الرموز فهي إيزيدية خالصة، وحتى الآن يستخدم الإيزيديون هذه الرموز، كما أن سكان قيمار الآن هم إيزيديون. الباحث حسو أمريكو، في بحث له منشور في نشرة بنخت، يقول: "إن في عام ٢٠٠٠ قدّم باحثان في مدينة أولدنبورغ الألمانية صورة لسنجق الملائكة، مأخوذة من ختم معبد سوراماري متحف حلب، تاريخه يعود إلى ٢٥٠٠ ق.م". بالنظر إلى ما تطرق إليه هؤلاء الباحثون وإلى المكتشفات التي لم تعلن بعد وإلى التاريخ الإيزيدي حسب الأقوال المقدسة، دائماً هناك ذكر لكلمة (شام). كما يقال أيضاً في الكلمات المتعارفة بينهم (إيزيدي شرق وشام). إذن، فالإيزيديون موجودون في هذه المنطقة (السوبارتيون، الهوريون، الإيلاميون). لم يكن في ذلك الزمان دول تحت مسميات: سوريا، تركيا، العراق، لبنان، إيران أو حتى السلطنة العثمانية. وإذا كان الإيزيديون دخلاء على سوريا، لأنهم أجبروا على تركها في فترات الحرب، فإننا سنعتبر أن كل سوري خرج من سوريا خلال السنوات ٢٠١١ -٢٠٢٠ من الدخلاء، وأنهم ليسوا سوريين، هذا يدخلنا إلى كيف أن أعداد الإيزيديين تناقصت بشكل كبير؛ فبعدما كانوا يشكلون الغالبية في شمال شرق سوريا، قديماً، أصبحوا أقلية تدريجياً، مع العلم أنه لم يرد في التاريخ أن الإيزيديين ارتكبوا يوماً ما مجازر بحق شعب ما.

التشتت وضغوطات الهجرة

لم تكن هناك إحصائيات رسمية تخص تعداد الإيزيديين، لكن دائماً كان هناك بعض الإحصائيات التي تخرج وليستْ دقيقة مئة بالمئة، ولم تكن تشمل جميع الإيزيديين. في إحصائية عام ١٩٣٧ ورد في التقرير السنوي الفرنسي- لعصبة الأمم المتحدة، حول تعداد سكان الجزيرة، أن عدد الإيزيديين يبلغ ٢٠٠٠ نسمة، وفي إحصائية عام ١٩٤١ يقدّر عدد إيزيدي عفرين قرابة ١٧٤٦ نسمة، أما في إحصائية عام ١٩٩٥ التي قام بها الباحثون دلدار ميتاني وحسين بريمو ومحمد عبده،

فيبلغ العدد التقديري لهم ١٠ آلاف نسمة في أبناء جبل الأكراد بعفرين، وفي العام ١٩٠٧ إحصائية الأب يسوع والمستشرق هنري لامنس، تم تقدير عددهم في عفرين ٣٠٠٠ نسمة، أما الإحصائية التي تحدث عنها الباحث فرمز غريبوا، وهو من إيزيدي الجزيرة، في أواخر الثمانينيات، فيقدر عدد الإيزيديين ٥٠ ألف نسمة، وفي إحصائيات أخرى غير رسمية قُدّر عددهم في سوريا نحو ٢٠٠ ألف نسمة. ونتيجة للأسباب التي سنذكرها، تناقصت أعداد الإيزيديين بشكل يهدد بزوالهم في سوريا، ففي الأعوام العشرة الأخيرة بين عامي ٢٠١١ و٢٠٢٠ أفرغت ٢٠ قرية بالكامل من سكانها في منطقة الجزيرة، منها قرية الأسدية -دردارة -خربة فقيرا -بورسعيد – أفكيرا -جان تمر - تليلية - تل طويل - خربة شادي - و١٥ قرية بالكامل في منطقة عفرين، منها: باصوفان – قسطل جندو - فقيرا- علاقينو. من هنا نستطيع تقسيم الهجرات الإيزيدية إلى مراحل من حيث الأسباب؛ فقبل العام ١٩٤٠ كانت الحروب وحملات الإبادة والخلافات العشائرية والتهجير القسري (على اعتبارهم فرقة دينية كافرة يجب قتالهم وسبيُ نسائهم وقتلهم؛ بحسب الفتاوى الدينية التي تحلل قتلهم)، أما قبل العام ٢٠١١ كانت الأسباب تختلف من منطقة إلى أخرى:

١. الحالة الاقتصادية والمعيشية وصعوبة تأمين لقمة العيش.

٢. تجريدهم من الجنسية السورية، وما رافقه من فقدان التعليم والملكية.

٣. الاستيلاء على الأراضي ومنحها لغير الإيزيديين من قبل السلطات.

٤. عدم استطاعتهم ممارسة شعائرهم بحريّة.

٥ـــ شعور بعض الإيزيديين بالنقص، بسبب نظرة الآخرين الدّونية إليهم واعتبارهم لا يوحّدون الله، وليسوا أهل كتاب، وأيضاً عدم الأكل من أطعمتهم.

٦. تشجيع الحكومة الألمانية الإيزيديين على السفر إلى بلدانها، وتقديم تسهيلات وامتيازات لهم .

أما ما قبل عام ٢٠٢٠ من أسباب هجرتهم :

١. توتر الوضع الأمني وعدم الاستقرار.

٢. التخوف من المستقبل وذلك مع دخول الأحداث في سوريا مسار التسليح والاقتتال.

٣. قضايا الزواج، لأن الإيزيدي لا يستطيع التزوج بغير إيزيدية، فتضطر بعض العوائل للسفر بقصد تأمين عائلة، وبنائها.

٤. تشجيع العوائل الإيزيدية أهاليهم على الهجرة .

٥. حدوث حالات خطف بحق بعض أبناء الإيزيديين.

٦ـــ ظهور تنظيمات مسلحة تكفيرية تهدد الوجود الإيزيدي، كجبهة النصرة ونور الدين الزنكي. إلخ ومهاجمتهم القرى الإيزيدية في رأس العين وفي قرى قسطل، جندو، علاقينو، بعفرين عام ٢٠١٣.

٧ـــ فقدان الأمل بمستقبل أفضل، بعد سيطرة المعارضة الإسلامية على المعارضة السورية، وظهور معارضة سورية استقصائية عنصرية.

٨. إجبار الإيزيديين على تغيير دينهم في مناطق عفرين وشنكال.

٩. احتلال منطقة عفرين من قبل القوات التركية والفصائل السورية المتعاونة معها عام ٢٠١٨ وتهجير سكانها.

١٠. احتلال القوات التركية مدينة رأس العين عام ٢٠١٩، والاستيلاء على جميع أملاك الإيزيديين وتهجيرهم .

١١. هدم وتخريب أكثر من عشرة مزارات للإيزيديين في عفرين.

١٢ــ ظهور تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وارتكابه مجازر وحملة إبادة جماعية بحق الإيزيديين في عام ٢٠١٤، وهذا ما شكّل تهديداً مباشراً لوجود الإيزيديين في سوريا، خاصة أنّ التنظيم يسيطر على مساحة واسعة من سوريا. ومع مرور السنوات، وبالرغم من تقلص عدد الإيزيديين في سوريا، لم يتوقفوا عن مساعدة أقرانهم من إيزيديّ شنكال، من تقديم المستلزمات وتأمين البيوت وغير ذلك منذ بداية حملة الإبادة، والبدء بمساعدتهم من أجل استرجاع المختطفين الإيزيديين من نساء وأطفال، والبالغ عددهم أكثر من ٦٠٠٠ شخص. سخّرتْ الجمعيات والمؤسسات الإيزيدية إمكانياتها كاتحاد إيزيدي عفرين، والبيت الإيزيدي في الجزيرة، والتجمع الثقافي الإيزيدي، ومكتب شؤون الإيزيديين في إقليم الجزيرة، والنشطاء المستقلين؛ حيث فتحت العوائل الإيزيدية بيوتهم للمحرّرين من قبضة التنظيم وأصبح كل بيت إيزيدي في سوريا، وخاصةً في منطقة الجزيرة، بيتاً لإعادة تأهيل الناجيات والأطفال الناجين، والبحث عن أهلهم وتسليمهم لهم، حيث لعبتْ مؤسسة البيت الإيزيدي دوراً أساسياً في عمليات التحرير، وشكّلت لجنة منذ بداية حملة الباغوز ولجنة للبحث في مخيم الهول، ومن أعضاء اللجنة الشيخ زياد، رئيس البيت، ومحمود رشو، الإداري في البيت، وخليل.. حيث ساهم البيت الإيزيدي في مساعدة ٥٤ امرأة و١٧٩ طفلاً، حتى تاريخ ٢٠٢٠/٢/١٥

تطور العلاقة بين الإيزيديين والدولة السورية والمكونات

الحالة التي مر بها الإيزيديون خلال الأعوام الأخيرة، فقبل العام ٢٠١١ كانت علاقة الإيزيديين مع جيرانهم من المكونات الأخرى في سوريا علاقة محبة واحترام متبادلة، لم يكن هناك مشكلات بينهم. هناك تقارب في الطقوس والعادات بين الإيزيديين والعلويين، خاصة في منطقة عفرين، وبينهم وبين الدروز والاسماعيليين، ولم يحدث يوماً أيّ خلاف حتى ولو كان بسيطاً بينهم، أما العلاقة مع الأرمن فكانت تاريخية قديمة، واستمرت، فالإيزيديون ساعدوا الأرمن أثناء حدوث المجازر التي ارتكبها العثمانيون بحقهم، ونتيجتها هُدّمت بيوتٌ وذهب ضحايا كثرٌ من الإيزيديين، وأثناء هروب بعض الأرمن تم حمايتهم في القرى بمنطقة رأس العين وعامودا والحسكة، وظهرت بينهم علاقات عائلية استمرتْ إلى يومنا هذا. أيضاً، العلاقة مع الآشوريين كانت جيدة جداً، وكان هناك اختلاط بينهم في قرى الحسكة، من جهة أخرى ظهرتْ حالات (الكرافة)، وهي عادة ومن طقوس الإيزيديين، للقرابة الدموية مع العشائر العربية والكردية والأقليات الأخرى. كما لعبتْ الحركة الشيوعية في سوريا، بتفكيرها المنفتح وعدم تعصبها الديني، دوراً مهماً في طمأنة الإيزيديين وخلق روح جديدة، ونظرة أخرى للمجتمع حول الإيزيديين. الحركات الكردية القومية، بجميع أحزابها في سوريا، لعبتْ الدور الأساسي والمحوري في إزالة الشرخ بين الإيزيديين والمسلمين؛ عبر التركيز على الجانب القومي والأشياء المشتركة وإزالة الشوائب التي كانت موجودة، وتغيير الفكرة الموجودة حول الإيزيديين. وكان لحزب العمال الكردستاني دور معروف في نهضة الشعور القومي لدى الإيزيديين، وتشجيعهم على الدفاع عن أنفسهم؛ بالحديث دون خوف عن معتقداتهم وطقوسهم، وكما كانوا دائماً، التركيز في الحرص على أن الإيزيديين هم الكرد الأصلاء وأنه يجب الحفاظ عليهم وعلى طقوسهم وعاداتهم وعدم انحلالها؛ عبر زيارات غير منقطعة للعوائل الإيزيدية ونقاشهم في كل شيء.

علاقة الإيزيديين بالدولة كانت هادئة، حيث إنّ الجهات في الدولة السورية كانت تعتبر نفسها حامية الأقليات، ومنها الإيزيدية. في سوريا، الإيزيدي كان يلتزم بجميع قوانين الدولة الصادرة ولم يعارض أي شيء حتى ولو كان في غير مصلحته، وكان يعتبر النظامَ الحاكم في سوريا نظاماً يحمي الوجود الإيزيدي، خاصة أنه وبعد سنوات من الهجرة وحملات الإبادة بدأ يستقر في ظل نظام لا يسعى إلى ارتكاب مذابح بحقهم أو تعذيبهم جسدياً، ولا يسمح لأحد بارتكاب مجازر بحقهم، ولم تسمح الجهات الأمنية لجماعات ما بالتعدي على الإيزيديين، ولم يكن هناك نعرات طائفية كما في العراق ولبنان، العلاقة كانت جيدة على الصعيد غير الرسمي، أي كانت تحدث زيارات من قبل مسؤولين في الجهات الأمنية والدولة ومعايدة الإيزيديين في مناسباتهم؛ حيث إن الإيزيدي كان يشعر بالضابط كمكوّن قريب منه في العادات والطقوس كالمكون العلوي، والعلوي لا ينظر إلى الإيزيدي على أنه كافر؛ وهذا ما خلق حالة من الاطمئنان. ولم تحدث حالات عصيان أو اشتباكات أو مظاهرات أو أيّ تهجّم من قبل الإيزيديين، بل على العكس، كانوا مسالمين ويحترمون جميع القوانين ويحافظون على مؤسسات الدولة وسمعتها، لكن على الصعيد الرسمي للدولة في سوريا لم يكن هناك أيّ مركز ثقافي لهم أو حركة ثقافية أو حتى ندوات تتحدث عنهم، أو التحدث بلغتهم، ولم يكن مسموحاً بناء معابد أو مزارات دينية لهم، ويمنعون من تعلم

تعاليم دينهم ولغتهم، بل إن الإيزيدي مجبرٌ أن يدرس تعاليم الدين الإسلامي في المدارس، على عكس ما كان ممنوحاً للإخوة من المكون الأرمني والسرياني؛ حيث كانت لهم مدارس خاصة ويدرسون لغتهم ومعتقداتهم. ومن الناحية الدينية، يخضع الإيزيدي في مسائل الميراث والزواج والطلاق والوفاة للمحاكم الشرعية الإسلامية، على عكس الطوائف الأخرى كالدروز والشيعة والعلويين والكاثوليك والأرثوذكس. لم يكن مسموحاً للإيزيدي تأسيس جمعيات ومجالس خاصة بهم، لتنظيم أنفسهم، على عكس الإخوة الاسماعيليين والدروز والمرشدين والآشوريين؛ حيث لهم مجلس وجمعيات، ويوفر لهم الدعم. لم يكن يعترف بالإيزيدية كديانة مستقلة، ولا يعترف بها كمذهب أو طائفة أو أقلية في سوريا. لم تتحدث وسائل الإعلام السورية الرسمية وغير الرسمية عن الإيزيديين ومناسباتهم وحتى التعريف بهم. لا تقبل شهادة الإيزيدي في المحاكم، ولا يسمح له بتسلم مناصب أو مسؤوليات أو حتى منصب رئيس بلدية، على عكس الإخوة من المكونات الأخرى.

جرد الكثير من الإيزيديين من الجنسية السورية في العام ١٩٦٢. لا يسمح للإيزيدي أن يصبح قاضياً في المحاكم المدنية والعسكرية. مع بداية العام ٢٠١١ كانت هناك حالة عدم وضوح بالنسبة للإيزيديين في سوريا؛ لم يكن هناك مستقبل واضح في ظل ظهور مجموعات ذات توجه تكفيري عنصري وإرهابي، ذكّرَ الإيزيديين بتاريخهم المرير، مع حالات عاشوها خلال مئات السنين. لم يكن المشهد غريباً عليهم، لم يكن هناك أمل، خاصة مع وجود معارضة سورية لا تعترف بهم وبهويتهم ولا تملك أي ضمانات لمستقبلهم ولا تشركهم في أي من مؤسسات القرار وتهمشهم. ومع نشوء الإدارة الذاتية الديمقراطية في الجزيرة، وبعدها الإدارات في عفرين ومناطق شمال وشرق سوريا، شعر الإيزيديون بشيء من الطمأنينة، خاصة أن الجهات المسؤولة في الإدارة ركزت على مشاركتهم في جميع مفاصل الإدارة، سواء في الجزيرة أو في عفرين، ففي الجزيرة أوكل منصب رئاسة هيئة الثقافة إلى الإيزيديين، ومنصب رئاسة هيئة الآثار والسياحة، ومنصب رئاسة هيئة الطاقة، ومنصب نائب الحاكمية المشتركة للمقاطعة، ومنصب رئاسة البلديات، هذا وتم إنشاء مكتب لشؤون الإيزيديين، ومُنحوا مناصب في حركة المجتمع الديمقراطي ومقاعد في المجلس التشريعي والبلديات والنواحي، وأيضاً مع تأسيس مؤسسة البيت الإيزيدي في الجزيرة وفّرت لهم جميع الإمكانيات، ومساعدتهم، كما تم تثبيتْ الأعياد الإيزيدية بشكل رسمي في الإدارات الذاتية، في شمال سوريا. وفي عفرين، خصّص منصب رئاسة الخارجية والمجلس التشريعي وغيرها من الدوائر، كما تمّ دعم النشاطات الثقافية للإيزيديين وإعطاء تراخيص لتأسيس التجمع الإيزيدي الثقافي الاجتماعي كأولى مؤسسة ثقافية، مع كل هذا شعر الإيزيديون بوجوب إعادة تأهيل قراهم وتنظيم أنفسهم أكثر داخل سوريا وخارجها، ولكن وخلال السنوات الأخيرة تدهورت الأوضاع مجدداً بسبب الاحتلال التركي لمناطق رأس العين وتل أبيض وعفرين، وأجبروا على الهجرة بشكل ينذر بإنهاء الوجود الإيزيدي في شمال وشرق سوريا، كما حدث في تركيا حيث تم تهجير أكثر من ٣٠٠ قرية إيزيدية. من هنا، يرى الإيزيدي أن دولة ألمانيا الاتحادية هي بلدهم الثاني، فأغلب الإيزيديين في سوريا يسكنون فيها ويتمتعون بكامل حقوقهم من جنسية ألمانية وحقوق ثقافية واجتماعية وسياسية، وأيضاً كثرت فيها المؤسسات الإيزيدية الثقافية والسياسية، وفتحت مدارس خاصة بهم، لكن يبقى دائماً خطر الانحلال في المجتمع الألماني الأوروبي. يتطلع الإيزيديون في سوريا إلى أن يكون لهم دور في بناء سوريا جديدة، يكونون فيها شركاء مع بقية الأقليات والمكونات، ويعامَلون كمواطنين من الدرجة الأولى وليست الثالثة والرابعة، ويعترف بهم كأقلية دينية مستقلة في الدستور السوري، وأن يتمتعوا بكامل حقوقهم الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويساهموا في بناء اقتصاد وطني لسوريا المستقبل، يعامل فيه جميع الناس سواسية. ينظر الإيزيدي على أن يكون له دور في كتابة أو تعديل دستور سوريا.

الواقع الإيزيدي في شمال شرق سوريا (التشتت الراهن والمستقبل)

الكاتب: زانيار جندو

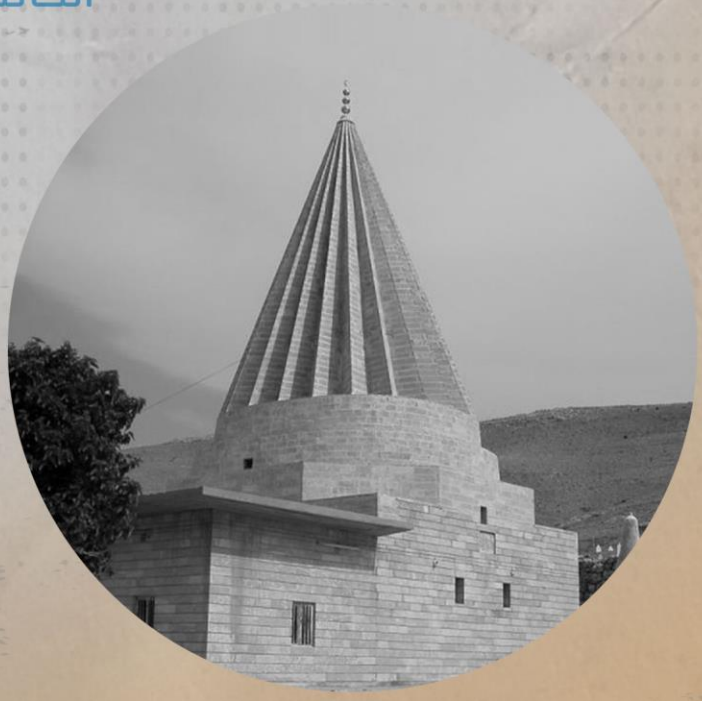

www.asocenter.org info@asocenter.org (+964) 751-4413372